رواية هوان النّعيم

بقلم مهند جابر

صدرت الرواية عن دار الجندي للنشر والتوزيع – القدس
الطبعة الأولى – كانون ثانٍ \ يناير ٢٠١٢
رواية "هوان النّعيم" هي الجزء الثالث من مجموعة روايات للكاتب جميل السّلحوت، فالروايات حسب الأجزاء هي:

١. ظلام النّهار.
٢. جنّة الجحيم.
٣. هوان النّعيم.

صراحة لا أعلم إذا كان المقصود بالجزء أنّ الرواية جزء من روايات ثلاثيّة (trio novels) كثلاثيّة نجيب محفوظ أو ثلاثيّة أحلام مستغانمي ... . فالجزء يدلّ على أنّه قسم من شيء مكتمل، فهل هذه الأجزاء مكتملة تكوّن لوحة واحدة؟ للأسف لا أملك الإجابة لأنّ الرواية الوحيدة المتوفّرة بين يديّ هي "هوان النّعيم"، وعندما انتبهت إلى قضيّة الجزء حاولت البحث عن الجزأين الأوّل والثاني، لكنّني لم أجدها في مكتباتنا الفقيرة، ممّا سيضطرّني إلى زيارة القدس أو مكتبة الشروق في رام الله التي اشتقت إليها كثيرًا بعد انقطاع طويل.
الشيء الأوّل الذي يشدّ القارئ هو عنوان كل جزء من

الأجزاء الثلاثة، حيث أنّ كلّ جزء عنوانه يجمع متضادّين، فعندما نتحدّث عن النهار نذكر النّور لا ضدّه الظلام، وعند ذكرنا للجحيم لا نقصد حتمًا الجنّة، كذلك الأمر في الجزء الثالث، كيف لنا أن نشير إلى الشدّة والعوز والاحتقار عند تلويحنا بالنّعيم! إذًا يشدّنا الكاتب من خلال تضادّ أجزاء العناوين إلى الغوص في البحث عن المتناقضات.
يقوم الكاتب في رواية "هوان النّعيم" بسرد تاريخيّ يصف فيها ذلك الألم الذي رافق الناس إثر حرب ١٩٦٧، حيث كانت هزيمة الجيوش العربيّة أمام قوّات الاحتلال، هذا الشّعور بالهزيمة والضّياع بعد أحلام دامت ١٩ عامًا تلت النّكبة، كانت قاعدتها وعودات بتحرير فلسطين وتخليصها من أنياب المحتلّ.

لقد جعل الكاتب القدس، تلك المدينة المقدّسة عند جميع الفلسطينيّين، نموذجًا للإحباط واليأس نتيجة الهزائم المتتالية؛ النّكبة ثمّ النكسة، يقيس هذا الشّعور من خلال وصف الأحداث في المدينة وتغيير معالمها. إنّ الكاتب وظّف المكان في سبيل توضيح الشّعور المحبط، ففي البحث من خلال المكان نجد أن خليل الأكتع يحاول الإجابة عن أسئلته التي سبّبتها حالة الضياع. المكان الأوّل كان القدس وتكرار زيارتها في أمكنة مختلفة منها ليعرف أين آلت الأمور؟ أمّا المكان الثاني فكان زيارته

للناصرة لمعرفة المزيد عن هذا الجزء الحيّ من أبناء الشّعب الفلسطينيّ في إسرائيل، بعد الحادثة التي اتّهم فيها أحد الشيوخ هذا الجزء بالخيانة وتعاونه مع المحتلّ.
نقل لنا الكاتب من خلال المكان الأوّل الكثير من حالات الإحباط، فها هي الجيوش العربيّة تتراجع أما الدبّابات والطائرات الإسرائيليّة، هروب الأهالي من قراهم ومدنهم، كيف لا ونحن نسمع المختار ص٣٣ يقول :"ضاعت البلاد وهلك العباد"؟ ويستمرّ الكاتب في نقل الصور المختلفة التي تدلّ على حالة الضياع واليأس، "خيّم الحزن على الجميع، تحلّقوا حول مذياع أبي عليّ يستمعون للأخبار وسط وجوم تامّ" ص٣٤. حتّى أنّ بعضهم قد اتّخذ قرارًا بأنّه "لم يعد لنا خيار سوى الهروب إلى الضفّة الشّرقيّة" ص٣٤. وقد صرّح فؤاد تصريحًا انهزاميًّا واضحًا عندما قال :"الحقيقة واضحة لقد هُزمنا هزيمة نكراء، ولن تقوم لنا بعدها قائمة" ص٤٠. "كثيرون من الرّجال والنّساء بكوا بمرارة، واحتاروا فيما سيفعلونه" ص٤٠ . "الأستاذ داود لا يريد أن يصدّق الأخبار التي يسمعها " ص٤١. "الكلّ مشغول بتعاسته ... والهزيمة طغت على تفكير الجميع" ص ٥٣. يصف حالة التيه بين النّاس، هل الحلّ في الهروب؟ كذلك كان التيه عند من هربوا، فهل حان أوان العودة إلى القرى والبيوت أم سيبقون في البراري حتى يتأكّدوا من أن الوضع أصبح آمنًا؟ ومن حالات التّيه نرى كيف يقع أبو سالم في فخّ

العمالة. وطبعًا هذا غيض من فيض.
أمّا من خلال المكان الثاني فقد نقل حالة إحباط أخرى، كيف لا وهناك الكثيرون ممّن لا يعلمون شيئًا عن إخوانهم الفلسطينيّين الذين بقوا في أراضيهم؟. فها هو رجل عجوز يتّهم عرب الدّاخل بالخيانة، فيقول لامرأة من كفركنّا كانت هي ومجموعة من النساء يردن أن يصلن إلى المسجد الأقصى :"لم يبق في الدّاخل سوى من تعاونوا مع الهجاناه، ولا يستحقّون الصّلاة في المسجد الأقصى" ص١٠٤. وكذلك كان "المصلّون المقدسيّون خائفون من المصلّين الذين جاؤوا من مختلف المناطق التي أقيمت عليها دولة إسرائيل". لكنّ الشّيخ ياسين لاحظ كيف ينفر المقدسيّون من إخوانهم، فدعا المقدسيّين من على منبر الأقصى إلى إكرام إخوانهم ووصفهم بالإخوة المرابطين المجاهدين، فقد تمسّكوا بديارهم، وعانوا كثيرًا من جور الاحتلال . ويجيب الشّيخ على سؤال أحد الشّباب ما إذا كانوا عملاء؟ "متى صار المدافع عن حقوقه والمتمسّك ببيته عميلًا؟.... وأهلنا في الدّاخل قابضون على جمر الوطن، ومنهم شعراء وأدباء، ومفكّرون كتب عنهم الأديب غسّان كنفاني كتابًا أسماه "أدب المقاومة" كتب فيه عن شعراء وأدباء رائعين أمثال: توفيق زيّاد، راشد حسين، محمود درويش، سميح القاسم، إميل حبيبي، إميل توما، سالم جبران ... وآخرون " ص١٠٩. فبكى المستمعون،

"وأكثر من بكى هم من انتظروا النصر، وصدمتهم الهزيمة الجديدة" ص.١٠٩هذه البلبلة في عدم معرفة الكثير من أبناء الشّعب الواحد لبعضهم البعض إن دلّت على شيء فإنّها تدلّ على عمق الجرح الفلسطينيّ. تلك المرأة التي لا تعرف أين الأقصى؟! وذلك الرجل الذي يتهم نصفه الآخر بالخيانة. لكنّ هناك من يعلم ويعي هذا الجرح كالشّيخ ياسين

يقوم الكاتب بنقل صورة واضحة عن ذلك الجزء الحيّ النّابض من الشعب الفلسطيني الذي بقي في أرضه بما يسمّى عرب ال"٤٨" . عندما سأل خليل الأكتع (هل جعله(الكاتب) أكتعًا بسبب ضياع جزء من الجسد الفلسطيني بسبب النكبة؟ أم جعله أكتعًا ليؤكّد أنّ سلخ عرب ال"٤٨" هي كنفس حالة خليل؟ وربّما أشياء أخرى...)، عن الفلسطينيّين الذين بقوا في نكبة عام ١٩٤٨، ليعرف عنهم وعن أوضاعهم وكيف يعيشون وما علاقتهم بإسرائيل؟ فجاء تأكيد الأستاذ داود لما قاله الشيخ ياسين بأنه قرأ صحيفة "الاتّحاد" وهي النّاطقة بلسان الحزب الشّيوعي، حيث أنّ "كلّ ما جاء في الصحيفة معادٍ للاحتلال، والمقالات تطالب بالانسحاب الفوريّ وغير المشروط من الأراضي المحتلّة، وتهاجم قرار الكنيست الإسرائيليّ بضمّ القدس العربيّة المحتلّة إلى دولة الاحتلال، وتستنكر ما تعرّض له مائير فلنر أمين عام الحزب وعضو الكنيست من طعن بالسكّين بعدما

أدان الاحتلال من على منبر الكنيست" ص١١١، من هنا جاء اقتراح فؤاد ليزوروا النّاصرة وهي عاصمة هذه الجماهير العربية، ليروا وليكتشفوا هذا الجزء من شعبهم الذي سلخ عنوة وقسرًا. يبيّن الكاتب من خلال المعلومات التي أوردها عن هذا الجزء الحيّ من الشعب الفلسطيني مدى المعاناة التي لحقت بهم من خلال نضال الحزب الشيوعي، فعدا صحيفة الاتّحاد يذكر مجلاّت أشرف عليها الحزب مثل الجديد والغد التي ساهمت في الحفاظ على الهويّة الفلسطينيّة، والتي أدانت العدوان الإسرائيلي، وتدعو إلى الانسحاب الفوري وغير المشروط من الأراضي العربيّة المحتلّة. وقد أيّدت الجماهير العربية هذا الحزب بجوارحها، ويبيّن الكاتب ذلك عندما حاولت الشرطة دقّ الأسافين بين المتظاهرين والشيوعيّين، باتّهامهم بالكفر، "... وأنتنّ يا حاجّات مغرر بكن من الشيوعيين الكفرة ... فلا تسمعن لهم" ص١٢٣، فجاء الردّ حازمًا من الحاجّة أمّ نعيم "ليقط الله لسانك ... نحن لسنا كفرة ... نحن شيوعيّون على سنّة الله وسنّة رسوله ... والآن صلّينا في الأقصى ... ولا نريدكم في بلادنا" ص. ١٢٤

لقد تألّم الفلسطينيّون في إسرائيل كثيرًا، وذاقوا من المعاناة، ينقل نجيب هذه الصورة لخليل وفؤاد وعبد المجيد "... والمعاناة التي عاناها عرب البلاد بعد النّكبة تحتاج إلى تأريخ ... ف ٩٠٪ من أراضيهم صودرت، وحارس أملاك

الغائبين استولى على عقارات كثيرة ... وخضعت البلدات العربيّة للحكم العسكري منذ نشوء الدولة وحتى قبل عام ... تصوّروا أنّ من كان يخرج من قريته إلى قرية أو مدينة أخرى كان بحاجة إلى تصريح من الحاكم العسكريّ ..." ص١٤٥ . ويقول أبو نجيب لضيوفه إجابة على سؤال كيف يعيشون "ذقنا ألوانًا من الذلّ والهوان يا ولدي ... وحالنا أفضل من حال من تشتّتوا في بلاد الله ... مع أنّ منّا من تشتّتوا في هذه البلاد أيضًا" ص١٤٧، هل هذا هو هوان النّعيم الذي قصده الكاتب في عنوان روايته؟! كذلك أحسّوا بألم بسبب هزيمة حرب ١٩٦٧، "بكى عبد المجيد وداود وخليل، بعد أن بكت أم نجيب النصراويّة، وأبكت من تواجدوا ... النّكبة أصبحت نكبتين، وبدل التّحرير وقع النّاس تحت احتلال جديد" ص١٣٨ . كذلك أبو نجيب فقد استقبلهم بالأحضان "... كان الرجل عابسًا مهمومًا فضربتان في الرأس قاتلتان كما قال، فالنكبة قصمت ظهورنا، وهزيمة حزيران قضت علينا، كنّا نتمنّى عودة الأحبّة ولقاءهم، وتحقّق اللقاء على غير ما نتمنّى ..." ص. ١٤٥

إذًا يقوم الكاتب في رواية "هوان النّعيم" بسرد تاريخيّ يتحدّث فيه عن الحلم الفلسطيني الذي دام ١٩ عامًا بعد النكبة الأولى، إلاّ أنّ هذا الحلم تحوّل إلى نكبة ثانية في حرب ١٩٦٧. ويبيّن هذا الشعور المؤلم المهزوم عند

الفلسطينيّين جميعًا، وكان نصيب القدس –التي يبرزها الكاتب بشكل كبير لتكون بوصلة للشعور الذي يتحدّث عنه–كبيرا، ممّا يدلّ على مدى عشقه النازف لهذه المدينة العظيمة.

ينهي الكاتب روايته مع أبي سالم، الذي تمّت خديعته وأصبح عميلًا للمخابرات الصهيونيّة، بعد أن أحرج بمشاهد جنسيّة فاضحة لم يردها أن تصل إلى معارفه. فيجعل الكاتب أبا سالم نموذجًا لذلك المهزوم الانهزامي الذي وقع ضحيّة المخابرات، وأصبح عميلًا ينقل الأخبار عن الناس للكابتن المخابراتي نمرود. أبو سالم يصبح كلبًا وفيًّا، ويسلّم بهذه الصّفة الجديدة "عووووووو" كانت جوابًا للمخابراتي نمرود عندما قال له أنت كلب وفيّ.

مأخذي على الكاتب جميل السّلحوت أنّه أنهى روايته بالانهزامي العميل، ممّا يخلق انطباعًا أن هذه النهاية هي الجوّ العام لما بعد حرب ١٩٦٧، كنت آمل أن تنتهي الرواية بذلك الإصرار على الوقوف مجدّدًا كما وقف هذا الشّعب البطل مرّة أخرى وأخرى وأخرى بعد أن كبا كبوة بعد أخرى.

قراءة في رواية

هوان النعيم لجميل السلحوت

بقلم نازك ضمرة

جميل السلحوت أخذ على عاتقه أن يدون تغريبة بني فلسطين العرب، وأنا واحد من الناس الذين يحسّون بالرضا في دواخلنا عن هذا الجهد، سبق وقرأت لكاتبنا الجزء الثاني من سلسلة رواياته والمعنونة (جنة الجحيم) التي تدور حول التغريبة الفلسطينية، وقبل أيام فوجئت بكتب تصلني بالبريد الجوّي المكلف، من طرف كاتبنا النشيط والمواظب والملتزم المقدسيّ جميل السلحوت، وفور الانتهاء من قراءة مجموعة عادل سالم القصصية المعنونة (لعيون الكرت الأخضر)، عشت أثناء قراءة رواية (هوان النّعيم) مستمتعاً أعيش مع شخوص الرّواية وهم يواصلون سرد سيرة الشّتات الفلسطينيّ، وبتوضيح الكثير من الأسباب والمسببات للنّكبات المتلاحقة التي ألمت بالفلسطينيين بشكل خاص، والعالم العربي بشكل عام، (أم مازن تتحدث عن بيتها الجميل الذي شردت منه، وعن حديقة الورود التي كانت حول المنزل، وتعدّد أسماء أنواع من الورود لايعرفنها المصغيات لحديثها) صفحة ٢٣ وأنوّه هنا في بداية هذه القراءة أن جميل السلحوت

وضع في حسابه أن تصبح روايته مسلسلاً تلفزيونيا أو فيلماً سينمائيا، لأنّه وضع اسم كل شخص عليه الدور في الكلام والرّد والحوار، أيّ أنّه كان المايسترو الذي يحرّك الشّخوص ليقولوا ما في نفوسهم. لم يترك جميل السلحوت عيباً سمع عنه أو عايشه عن الأنظمة العربية إلا وأدخله في حبكة النص دون إقحام ولا مزايدة، وبسرد يتناسب مع مجريات النّصّ أو بحوارات بين شخوص الرواية مبتعداً عن الخطابيّة والوعظ المباشر، وحاول تجنب تدخل السارد العليم وفرض الكلام الذي يريده على الشّخوص، (داود: دولنا العربية لا تعرف كيف تحارب، ولا تعرف كيف تصادق، وطائرات الميج ٢١ والسوخوي روسية الصنع أسقطت طائرات الفانتوم والسكي هوك الأمريكية....) صفحة ٤٥ ولاحظنا أن الشخصيات حين تأتي أدوارهم يتحدثون ويتحاورون بحرية وحسب مستوى تفكير وثقافة كلّ منهم، وبعفويّة وبساطة محاولاً عدم تسييس الرّواية، بل كانت تلك الفضائح هي بهار الرّواية وعناصر التشويق فيها، فتشعر بأنّك أمام حكواتيّ صادق مشاهد شاهد على الأحداث، يرويها بلا تكلف ودون لفّ أو دوران أو إطالة مملّة، بل ببيان يزيد من تماسك النص الروائي، ويجعل من تلك المكاشفات أساساً تتبني عليه الحكاية دون مواربة، بل بوضوح بعيداً عن الرمزية والكناية والتلميح ما أمكن، وبأقلّ ما يمكن من النفاق الاجتماعيّ أو المصلحي أو السّياسيّ.

(انصرفت الدورية العسكرية الإسرائيلية فانحدرت الدموع على وجنتي خليل الذي قال: هؤلاء يوزعون الشوكولاته والمعلبات والسجائر في الطرقات، وجيوشنا لا تجد ما تأكله) صفحة ٤٩، أي هاربة من ساحات القتال ومشتتة في الفيافي والقفار. ومع أن الرواية هي سرد تاريخي لأحداث وحكايات، ويعرفها كلّ من عايش تلك المرحلة الزمنية الواقعة بين العام ١٩٤٨ حتى أواخر العام ١٩٦٧، لكنّها تبقى سرداً أدبيا تسجيلياً يكشف الكثير مما يغفله التاريخ، وينفع الناس والباحثين عن الحقائق والأسرار، ويعكس تفكير نخبة أدبية من الفلسطينيين الذين عايشوا سنوات التقهقر والهزائم، على أرض فلسطين وعلى مدى الساحة العربية من أقصاها إلى أدناها، وأسلوب جميل سلحوت يبقى كما عرفناه في رواياته السابقة، لكن كفاءته في احتواء الأحداث الكثيرة في الرواية مع المحافظة على التسلسل الزمني تميزه في كتاباته، إذ لا يلجأ لتقطيع الزمن والتقاطعات في الأحداث، بل يسردها بانتظام حكائي جاذب، غير متقيد بالكثير من الآراء في الرواية الحديثة، والتي تحسب أهمية جذب اهتمام القارئ، وإبعاده عن ملل الرتابة، واثقاً من نفسه ومن كتابته بأن في سرده وأسلوبه الجذب الكافي الذي لا يسمح للملل بالتسرب إلى نفس القارئ، لا بل إنّ أسلوبه يجعل من (هوان النعيم) رواية تاريخية للمستقبل وللأجيال اللاحقة، ولأولئك الذين

لا وقت لديهم لقراءة تفاصيل التاريخ والسنوات المملّة والممرضة بأحداثها التي تكثر فيها الأحزان والإحباطات، أو أولئك الذين يكرهون مادّة التاريخ ومتابعة تسلسل الأحداث الماضية، وكون (هوان النعيم) رواية اجتماعية ثقافية أدبية في الأساس، فستقلل الكثير من النفور من قراءة ما مرّ على الشعب الصارم الذي أيقظته صدمة الاحتلال الصهيوني والشتات، ليعمل ليل نهار، ويوسع مدارك كلّ من يعيشون حوله، وكأن الشعب الفلسطيني هو خروف العيد الذي فدى به إبراهيم ولده وشعبه، حين ذبح الخروف بدل ابنه، أو هو إنه المسيح الذي فدى شعبه بصلبه، فتنبه العرب بعد نكبة فلسطين، ليعيشوا في مأمن من المؤامرات، أو أصبح لديهم المهارة والحرص حتى لا يحدث معهم كما حدث مع الفلسطينيين، (فؤاد: وعدم الاعتراف بالهزيمة حالة مرضية يصعب شفاؤها، وبالتالي سنبقى مهزومين إلى ماشاء الله) صفحة ٧٥، وهكذا نجت الدول العربية القريبة من إسرائيل من الصدمات التي ألمّت بالفلسطينيين، وانتشر الوعي بين الشعوب وتماسكوا وسلمت من الخطر الصهيوني، فلم يسمحوا بحدوث كوارث احتلالي لأيّ قطر عربي آخر إلا الجولان السوري منبع الماء والخيرات والاستيعاب السكاني غير المحدود، ثم إن شتات الشعب الفلسطيني المثقف أفاد معظم الدول العربية، بل والكثير من دول العالم الآخر فكان مركب

النقص في الشخصية الفلسطينية، حين حرموا من بقائهم ونموهم وتقدمهم على أرض وطنهم فلسطين، خلق دافعاً ومحرضاً لهم على إثبات وجودهم أينما حلوا، لبلورة منفعة البلد والشعب الذي يقيم فيه الفلسطيني أو يجاوره أو يعمل عنده. والنقطة التي لفتت انتباهي في هذه الرواية أنها كتبت بلغة عربية أدبية سليمة، تكاد تكون خالية من اللغة العامية، ونقدر هذا الجهد لكاتب الرّواية، لأننا نريد أن نكتب أدباً يقرؤه غيرنا لا لأنفسنا فقط، أو لأدباء أو قراء من الأقاليم العربية الأخرى، ثم إن الكتابة باللغة الفصحى يسهل الأمر على الأجنبي فهم النص حين يتم ترجمته إلى لغة أجنبية، إننا أنفسنا نعرف همومنا وعيوبنا وقدراتنا وما يلزمنا كشعب أغمطت حقوقه، وما زال يفتقد الوحدة الوطنية والاتفاق على قيادة موحدة، تخوض به أيام الزمن ولياليه سعياً ووصولا إلى السلام والحق والعدل، وللحفاظ على الأرض والعودة للعيش عليها بكرامة وحرية، كغيرنا من شعوب الأرض التي تحافظ على شخصيتها المتميزة، وبرغم مرور العقود على اعتراف العالم بحقوق الشعب الفلسطيني، إلا أن العالم عامة، والعرب خاصة صامتون لا يحركون ساكناً، بل إن الرواية تبين أن النفاق السياسي هو الغالب على تصرفات الدول الكبرى ومن يلف في أفلاكها. وتساؤلي لكاتبنا أنه حرص على إعطاء شخصية خليل الأكتع أهمية كبيرة بشكل لافت للانتباه على امتداد

الرواية، ثم كرّس له وقتاً طويلاً لا يفيد نص الرواية، حين كتب كثيراً عن عجزه في التدريب العسكري أو فوزه في التحدي في تفكيك السلاح أو إصابة الهدف، ويكفي أن يركز على عبثية التدرب على السلاح، الذي لم يكن سوى ملهاة أو وسيلة أخرى لفهم المزيد عن شخصية الإنسان الفلسطيني وكيفية التعامل معها لإخضاعها، ثم أين ذهب ذلك التدريب العسكري؟ ولم نجد فرقاً فلسطينية ممّن دربتهم الأردن يقفون على أرضهم يطبقون ما تدربوا عليه، علماً بأن الكثير من الفلسطينيين كانوا يبيعون الذهب والغالي والرخيص، وبعضهم باع جزءا من أرضه كي يشتري بندقية قبل العام ١٩٤٨، ولو لم تدخل الجيوش العربية لفلسطين، لثبت الفلسطينيون على أرضهم، وحاربوا بكل ما أوتوا من قوة، ومهما حصل بعد ذلك فلن يكون بمستوى النكبة التي حلت بهم عام ١٩٤٨ ثم عندما أصبحت بقيّة فلسطين جزءاً من الأردن، ثم فقدت الدولة الأردنية نصف جسمها عام ١٩٦٧ وبكل بساطة وبدون خسائر تذكر، ولا بمحاولات صادمة للحفاظ على أي جزء من فلسطين والقدس جوهرتها وقلبها المعبر عن شخصيتها. (ألا تراهم يهدّدون المنطقة بكاملها؟ يشنون حروباً ... يحتلون أراضي جديدة... ويصيحون بأنّ أمنهم مهدّد.) صفحة ١٤٧ وفي رأيي إنّ شخصية خليل كان من المفروض أن تكون مكشوفة من بداية الرّواية، مبرراً سبب

تواجدها في معظم المواقف، لكن لم تغير من السياق العام للحكاية ودون دور مؤثر على الأحداث والتسلسل التاريخي للمنطقة، كما كان دوره في الرواية السابقة، حيث أعطاها الكاتب أهمية كبيرة بشكل مكثف ليخدم الهدف في داخل النص، لبيان أن من أسباب النكبة هو التخلف الحضاري والثقافي بين الناس، وهذه الرواية هي تكملة لأحداث تاريخية متسلسلة، ولتذكير القارئ فإنّ خليل الأكتع الذي زار بريطانيا في السنة الأولى من مرحلة سنوات مراهقته، ورأى الكثير في بلاد الإنجليز وعرف الكثير، لم يظهر في الرواية التي نحن بصددها أيّ أثر فاعل له في بداياتها، في دور يتواصل ويتناسب مع دوره في الرواية السابقة، وأعتقد أنه يمكن الاستغناء عن الكثير من تلك التي تصف ذكاء خليل الأكتع وتميزه عن أقرانه كاملي الأطراف أثناء التدريب العسكري، لأنّ الرواية مكرّسة لسرد الأحداث التي كانت عاملاً مساعدا في حصول الهزائم العربية، وكشف السذاجة السياسية لمعظم محترفي السياسة من الفلسطينيين، ولبعض الحكام العرب، وحرص بعضهم على إرضاء الأجانب على حساب الحقوق العربية.

وأظهرت الرواية أنّ تدريب خليل وغيره على السلاح لم يكن ذا فائدة في مواجهة أيّ عمل عسكرى جرى بعد ذلك لتبريره.

والشخصية الأخرى الأكثر جدلية والتي شذّت عن

المألوف فهي شخصية (أبو سالم) الذي تورط في التعاون مع ضابط الشين بيت المخابرات الأسرائيلية ضد أهله وأبناء بلده كجاسوس، دون أن يتحسب لهذه الورطة، أوقعه ضابط المخابرات الإسرائيلي في فضيحة جنسية مع امرأة من بائعات الهوى، وتم تصوير فيلم لهما متضاجعين في عري تام، ثم لطمعه في الدفعات المالية التي كان الضابط يرشوه بها، فاستسلم للمهمة المطلوبة منه مضطراً، وبسبب اكتشاف أبو سالم لغلطته، صار الضابط الإسرائيلي يخاطبه بـ (الكلب)، اغتاظ في البداية وحاول أن يجادل في التسمية، فأصرّ الضابط على أنّه (كلب وفيّ)، فقبل أبو سالم هذا اللقب، وليثبت اعترافه بهذه التسمية، قال (عووو) أي نبح حين قال له أنت كلبٌ وفيّ – صفحة ١٧٣، وهنا يتبادر إلى الذهن السؤال عن سبب تسمية الرّواية (هوان النعيم)، وربما تذكر الكاتب قول الشاعر:

من يهن يسهل الهوان عليه**** ما لجرح بميت إيلام

وأبو سالم تبلدت مشاعره، لأن التهمة التصقت به، فلا يهتم بعدها ماذا يقول الناس فيه وعنه؟. وفي الحقيقة فإنّ هذه الرواية تحتاج إلى كتابات نقدية متعددة التوجهات، لتناولها من حيث البناء الزمني والتسلسل التاريخي، ومن حيث أبطالها، ومن حيث المسكوت عنه والمعلن، ومن حيث إصرار الكاتب على مواصلة كشف الجهل في الوعي.